



The structure of the pun and its literary effects in the poetry of Ibn Hajar Al-Asqalani (d. 852 AH)

Asmaa Najem Abdulmalik

Al-Dulaimi

University of Anbar

College of Education for Girls

Assmaanajem00@gmail.com

07813329682

Prof.Dr. Hassan Salem Hindi

Ismaeel

University of Anbar

College of Education for Girls

edw.ally-98@uoanbar.edu.iq

Abstract: In this research, God willing, we will explore the value of puns as an integral and original structure in literature. Because it penetrates into the depth of the text by enriching the significance, and this will lead to the widening of the text spaces and enrich its literature; We will address these hypotheses and try to convince the reader through a poetic model from the ancient heritage. The sample was the "Diwan of Ibn Hajar Al-Asqalani (d. 852 AH)", as it carried a wide range of innovated styles – and here is the pun – that did not stop at the level of external decoration; Rather, it extended to the formation of the in-depth literary image that needs contemplation and reflection, so that the reader can explore its value, and the research consists of a theoretical description of the limits of the pun within its historical context, and within the contemporary rhetorical vision as well, with an analysis of poetic choices.

Keywords: structure, the pun, the Budaiya, the literary, Ibn Hajar al-Asqalani



بنية التورية وآثارها الأدبية في شعر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

أسماء نجم عبد المالك الدليمي

جامعة الانبار/ كلية التربية للبنات

asmaanajem00@gmail.com (07813329682)

أ.د. حسن سالم هندي إسماعيل

جامعة الانبار / كلية التربية للبنات

(edw.ally-98@uoanbar.edu.iq)

الملخص:

سنعمل في هذا البحث - إن شاء الله- على استكشاف قيمة التورية بوصفها بنية متكاملة وأصيلة في الأدب؛ لأنها تنفذ إلى عمق النص من خلال إثراء الدلالة، وهذا سيؤدي إلى اتساع فضاءات النص ويثري أدبيته؛ وسنعالج هذه الفرضيات ومحاولة اقناع القارئ من خلال أمودج شعري من التراث التليد، فكانت العينة هي "ديوان ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)" إذ حمل كماً واسعاً من الأساليب البديعية -وهنا التورية- التي لم تتوقف عند مستوى التزيين الخارجي؛ بل امتدت إلى تشكيل الصورة الأدبية المعقدة التي تحتاج إلى تأمل وإجالة الفكر، حتى يستكشف القارئ قيمتها، وتكون البحث من توصيف نظري لحدود التورية في ضمن سياقها التاريخي، وفي ضمن الرؤية البلاغية المعاصرة أيضاً، مع تحليل لاختيارات شعرية.

الكلمات المفتاحية: بنية، التورية، البديع، الأدبية، ابن حجر العسقلاني



بنية التورية وآثارها الأدبية في شعر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

أسماء نجم عبد المالك الدليمي أ.د. حسن سالم هندي إسماعيل

جامعة الأنبار - كلية التربية للبنات

المقدمة:

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله..

تتأتى أهمية الأسلوب البديعي من ارتباطه بالاختراع والجدة على غير مثال سابق، زد على ذلك ابتعاد بعض الباحثين عنه على أساس أنه يُعَدّ في ضمن مخطط التحسين الزائد عن أصل المعنى، لكن التدقيق بالتراث العربي، وما استجد من نظريات بلاغية ونقدية معاصرة تحمل الباحث على إعادة النظر في هذا الأسلوب البديعي - ومنه التورية - ولاسيما ارتباطهما بالبعد الدلالي الذي يؤدي إلى رقد النص بطاقة أدبية عالية تتأتى من فاعلية الأسلوب البديعي في تماسك النص من خلال ترابط عواطف - النص - وأخيلته التي تتناغم مع البنية التكوينية لأسلوب التورية الذي يُبنى على ركنين رئيسين؛ عميق وسطحي.

لقد حاولنا تطبيق هذه الفرضيات على ديوان ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت ٨٥٢هـ) إذ ينتمي شعره إلى حقبة ازدهمت بالبديع، لكنه تميز عن أقرانه بصدق العاطفة وتلقائية مجيء الأسلوب البديعي، ولا سيما في المدائح النبوية، وما قاله في حق العلماء، ومن طرائف التندر وألغازه التي تتطلب أسلوب التورية لما يحمله من خفاء وترميز الذي يثري النص، ويوسع من دلالاته الإبداعية، وسنعمل في هذا البحث بحسب المحاور البحثية الآتية:

- الملخص؛ وفيه يتعرف القارئ على فكرة البحث، ومفاتيحاته الرئيسة.
- المقدمة؛ وهي عرضٌ تقديمي لأسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والمنهج المتبع.
- المبحث الأول/ المهاد النظري؛ وسنعرض فيه المفاهيم المعرفية الرئيسة في البحث؛ من بنية، تعريف بالتورية وحدودها، مع تعريف موجز بالشاعر ومكانته العلمية واهتماماته الأدبية.
- المبحث الثاني/ تطبيقات من بُنى التورية في شعر ابن حجر؛ ونختار فيه عينات من شعر الإمام ابن حجر العسقلاني "رحمه الله" لنستكشف القيمة الجمالية التي تتحقق من خلال توظيف البنية الدلالية للتورية في شعره.



المبحث الأول/ المهاده النظري

البنية وتوظيفها البلاغي: تتجه الأنظار للبديع بوصفه معياراً تحليلياً يتعامل مع البنية العميقة للنص، التي تتناغم مع المعنى الأدبي المنتج، والبعد التخيلي للنصوص الإبداعية الذي يتأتى من طرق عدة، ولاسيما أن هذه الدلالات للفظة تتأتى من الأصل اللغوي الذي تقوم عليه لفظ "البنية" إذ من معانيها؛ مجموعة الأعمدة التي تشكل البنية، ومنه الطرق المتشعبة من الجادة^(١)، فكأنها وصف للأشكال والمتصورات التخيلية التي تنتظم بوساطتها الأساليب البديعية لتؤدي أغراضاً جمالية، وترفد النص بطاقة أدبية عالية^(٢). وللبنية استعمال عدة، والذي نوظفه هنا؛ توصيف بنية الأثر الأدبي المتأتي من الروافد البلاغية، وتحليلها عبر تحديد العناصر الفنية وتأملها، وعدم الاكتفاء برصد الأسلوب البلاغي واصدار التوصيفات العامة^(٣).

مفهوم التورية:

تعدُّ التورية من الأساليب البلاغية المهمة التي لها أبعاد دلالية تسهم في إثراء التصوير البديعي، وتعميق الطابع الرمزي للأعمال الإبداعية؛ إذ إنَّ القارئ قد يقع في الإيهام وعدم القدرة على تفسير النص وتحليله، لكن بعد التأمل وإجالة الفكر سيكتشف المعنى الفني الإبداعي في النص، إذ تقوم التورية على لفظ واحد يحتمل معنيين: قريب ظاهر غير مقصود، وآخر بعيد مقصود فيه نوع من الخفاء وهو المقصود، فتكون هذه المعاني الإبداعية بُنى من الأخيلة والأحاسيس التي من شأنها إثراء المظاهر الدلالية^(٤). ولا سيما إذا تم توظيفها متظافرة مع التعبير المجازي لتحقيق غرض تواصلية جمالية لا يتحقق بالتعبير التقديرية المباشرة، لما فيها من طرائف المعاني، ورشاقة التعبير، وتحقيق عنصر المفاجأة والإثارة التي هي من العناصر المهمة في المظاهر الدلالية للبنى البديعية، وتتميز التورية بقوة الترابط بين المفهوم الاصطلاحي وما بين الأصل اللغوي

(١) ينظر لسان العرب، ابن منظور: مادة (بنى).

(٢) ينظر البنية والبنوية، البنية اللغوية والاصطلاح النقدي، يوسف وغليس، مجلة الدراسات اللغوية، مخبر الدراسات اللغوية، الجزائر: ٢١.

(٣) ينظر مصطلحات نقد الرواية: ٣٧-٣٨. وينظر أنغلاق البنية وانفتاحها: ٧٥٧، ٧٧٦.

(٤) ينظر: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حنكة: ٣٧٣.

الذي تقوم عليه اللفظة، فالتورية لغة: من وَرَى، ويقال: « وقد أَلْغَزَ في كلامه يُلْغِزُ إِغْزَاً إِذَا وَرَى فِيهِ وَعَرَضَ لِيُخْفَى ... وَوَرَيْتُ الْخَبْرَ أُورِيهِ تَوْرِيَةً إِذَا سَتَرْتَهُ وَأَظْهَرْتِ غَيْرَهُ»^(١).

وعلى الرغم من انسيابية تطور هذا المصطلح وفاعليته الدلالية؛ إلا أنه لا يُعَدُّ بعض التداخل بينه وبين المصطلحات الأخرى، ولا سيما عند المتقدمين، فعدها ابن رشيق القيرواني من أبواب (الإشارة) لذا فإنها تقترب في حدودها المفاهيمية عند ابن رشيق من الكناية^(٢).

بَيِّنُ أَنَّ «التورية تسمى الإيهام والتوجيه والتخيل والمغالطة»^(٣).

فالسَّكَّائِي (ت: ٦٢٦ هـ) مثلاً تَحَدَّثَ عَنِ (الإيهام)، وقصد به "التورية"؛ إذ عَرَفَهُ بقوله: «وهو أن يكون لفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر لإيهام القريب في الحال على أن يظهر ان المراد به البعيد»^(٤).

وكذلك عَرَفَ "التوجيه" بقوله: «وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين»^(٥).

والملاحظ من تعريفات السَّكَّائِي (ت: ٦٢٦ هـ) على أهميتها أنه لم يفصّل القول بهذا الأسلوب، وكذلك لم يُكثِر من الشواهد الدالة على هذه الأساليب البديعية، مثلما نجد عند المصري في كتابه (تحرير التحبير) إذ عقد لها باباً سمّاه (التورية)، وقال: «ويسمى التوجيه، وهي أن تكون الكلمة تحتل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتمالها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله»^(٦).

وقد أورد عددًا من الشواهد، وقام بتحليلها، ويبيّن أركان التورية، ومنها قول عمر بن أبي ربيعة^(٧):

(١) لسان العرب، لابن منظور: (ورى).

(٢) ينظر: العمدة لابن رشيق: ١/ ٣١١.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب: ٣٨٣؛ وينظر مصادره: المثل السائر، لابن الأثير: ٢/ ٢١٥، ٢١٩؛ وتحرير التحبير: ٢٦٨؛ وحسن التوسل إلى صناعة الترسّل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) تحقيق: أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٩٨٠م: ٢٤٩، وغيرها.

(٤) مفتاح العلوم، للسكائي: ٤٢٧.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبغ المصري (ت: ٦٥٤ هـ)، تحقيق: د. حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- الجمهورية العربية المتحدة: ٢٦٨.

(٧) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي- القاهرة، ط/١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م: ٤٩٥، وعده من الشعر المنسوب إلى عمر بن أبي ربيعة.



أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمَّ رَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُـهُيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

«فذكر عمر (الثريّا، وسهَيْلاً) ليوهم السامع أنّه يريد النجمين المشهورين...، وهو يريد صاحبتَه، وكان أبوها قد زوجَهَا برجل من أهل اليمن ...»^(١). وتجدر الإشارة إلى أنّ "المغالطة" هي تسمية للتورية نفسها مع تحديد لطيف للعلماء، ومن ذلك ما أورده "يجي ابن حمزة العلوي ت ٧٤٥هـ" إذ عدّها من أضرب التورية، مع " أن المغالطة كما ذكرناه إنما تكون بالألفاظ المشتركة وهي دالة على أحدهما على جهة البدلية وضعا، وقد يرادان جميعا بالقصد والنية، بخلاف الألفاظ، فإنه ليس دالا على معنيين بطريق الاشتراك ولكنه دال على معنى من جهة لفظه وعلى المعنى الآخر من جهة الحدس لا بطريق اللفظ"^(٢). في حين أنّ التخيل قد أخذ بعدا دلاليا في ضمن الواقعة النظرية والتطبيقية، إذ إنّهُ يقترب من الأساليب البيانية من حيث أنّه قوام تحقيق الإبداع الفني^(٣).

فلنحظ هنا -بداية- اتّضح الأسلوب، والاتجاه نحو بنية رئيسة وتفريعات، بمعنى أنّ ورود التسميات المختلفة ممكن أنّ تنتظم في أنواع التورية وبحسب العلاقة بين البنيتين المعنويتين المشكّلة للمصطلح، ومن ذلك ما وجدناه عند بدر الدين بن مالك (ت: ٦٨٦ هـ) إذ أنّ التورية كانت على أنواع، وهي^(٤):

١- التورية المجردة: وهي التي لا يوجد قبل المورى ولا بعده لازمة من لوازم المورى به، بل المسألة تقديرية وبحسب قراءة المتلقي وقدرته على استكشاف مكان النص.

٢- التورية المرشحة بما قبلها: وهي وجود لفظ قبل التورية يدل على المعنى العميق الذي كان مقصديا المبدع.

(١) تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر: ٢٦٨.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يجي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، لنشر: المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: ٣٧/٣.

(٣) - ينظر معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب: ١١٧/٢.

(٤) ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين ابن مالك الشهير بابن الناظم (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب- القاهرة، ط/١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م: ٢٦٠-٢٦٢.



٣- التورية المرشحة بما بعدها: وهي بخلاف السابقة، فيتكون هنالك ما يدل على المعنى العميق. اعتمد المُحدِّثون هذه الحدود، وهذبوا التقسيمات والأنواع، والتأكيد على القيمة الدلالية للتورية وقدرتها التخيلية، فحصرها الدكتور عبد الرحمن حبنكة بأقسامها الثلاثة فقط، وهي «التورية المجردة: وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنى القريب، ولا بما يلائم المعنى البعيد، والتورية المرشحة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، سواء أكان هذا المقارن قبل اللفظ المستعمل في التورية أو بعده، والتورية المبيّنة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى البعيد المقصود باللفظ»^(١).

وتجدر الإشارة إلى أنّ من المُحدِّثين من اختزله التورية بقسمين اثنين: مجردة، ومرشحة، وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب^(٢).

وهذا ما يحملنا بالعناية بالتورية وأبعادها الدلالية الواضحة والمؤثرة والتي لها «ذات دور هام لم تُجلب لتأدية معنى إضافي، أو تحسين عرضي، فعدها من البديع فيه تسامح، وأجدر بما أن تلحق بأقسام البيان إنصافاً ووصفاً لكل فن في موضعه»^(٣).

وما ذلك إلاً لإمكانية توظيف (التورية) في إثراء الجوانب الدلالية والتخيلية بوصفها بنية متكاملة من الأحاسيس والأخيلة الممتزجة بالعاطفة.

(١) البلاغة أسسها وعلومها وأفانينها، عبد الرحمن حبنكة: ١ / ٧٤٨.

(٢) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين: ١٠٨.

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/١،

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م: ١٢ / ٤٢٤.



نبذة عن الشاعر، حياته، مكانته العلمية، شعره:

هو " أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد " ^(١) والمشهور بلقبه شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر العسقلاني ^(٢). امتازت شخصيته بالسعة العلمية والمقدرة الفذة على التأليف؛ فهو المقرئ والحافظ، والفقير والمفسر، وتولى القضاء والإفتاء والخطابة والإمامة، والتدريس ^(٣). زد على ذلك ترك لنا تراثاً أدبياً مهماً وملاحظات نقدية دقيقة. وعملت هذه السعة بالوقت نفسه على تكرار الترجمات لهذا العالم الجليل، وأهمها كتاب " الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ " ^(٤) الذي تخصص بالترجمة للإمام ابن حجر العسقلاني.

وقد نشأ الإمام بعقلية ناضجة فذة، وكانت سيرته في غاية العفة والوقار والإباء؛ رغم يتمه منذ الصغر، وقرأ القرآن الكريم وحفظه في سن مبكرة و تميَّز بالحفظ بسرعة وبطريقة تأملية، وحب بيت الله الحرام وهو ابن الخامسة مع وصيه الذي تكفله يتيمًا، وصلى بالناس وهو ابن اثنتا عشرة سنة ^(٥). وله اهتمامات أدبية إذ "نظر في فنون الأدب من سنة اثنتين وتسعين، فقال الشعر ونظم مدائح نبوية ومقاطع الأدب" ^(٦)

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين بن محمد السخاوي: ١٠١/١.

(٢) ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، الناشر دار مكتبة الحياة، بيروت: ١٠٤/٢.

(٣) ينظر العُجاب في بيان الأسباب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): ٣٥-٣٦.

(٤) ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، وطبقات الحفاظ للسيوطي، رفع الإصر عن قضاة مصر، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق د.علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨-١٩٩٨م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

(٥) ينظر الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين السخاوي: ١٢٢-١٢٣.

(٦) رفع الأصر عن قضاة مصر: ٦٣.



نُقل عنه تقاريفه الحسنة على كتب وقصائد، وبديعيات.. والموازنة بين الشعراء.. وله ديوان حظي بأكثر من تحقيق.. وكان يستشهد بشعره من العلماء القدماء، ويشار إلى تماسك البنى البديعية لديه من تورية وغيرها^(١).

إنَّ هذه السعة الأدبية لابن حجر العسقلاني أدت إلى أن يكون محط اهتمام بعض الدراسات وأهمها:

- "الدرس البلاغي في كتاب فتح الباري للعسقلاني (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ)" رسالة ماجستير للباحثة "رنا خيرى محمد أبو الخام" كلية التربية- جامعة من، بإشراف أ.م.د. هناء محمود شهاب، انطلقت الباحثة من شمولية هذا الكتاب، وحاولت أن تبين جهود الشيخ ابن حجر العسقلاني في علوم البلاغة وآراؤه من خلال أمودجات مختارة، وبررت ذلك بضخامة المادة الموجودة وعدم إمكانية الاحاطة بكافة الأساليب البلاغية، ولاسيما أن ابن حجر كان يشرح الأوجه البلاغية في الأحاديث النبوية التي وردت في كتابه، وقد أولى اهتمامه لعلمي المعاني والبيان أما البديع فقد كان أقل مساحة بحثية وبأساليب محددة.

- بحث بعنوان "فن التوجيه في شعر ابن حجر العسقلاني" للباحثة إيمان عواد الرجب، منشور في مجلة الكلمة (موقع إلكتروني) العدد ١٤٦ يونيو ٢٠١٩م، والفكرة الرئيسة للبحث؛ تتركز حول دراسة التوجيه بوصفه أسلوبًا مستقلًا، وقد اختارت شعر ابن حجر؛ وذلك لأنه ينتمي إلى عصور كثر فيها الفنون البديعية.

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي: ١ / ٢٩٠.



المبحث الثاني/ تطبيقات من بُنى التورية في شعر ابن حجر

لقد ورد أسلوب التورية في شعر ابن حجر العسقلاني رحمه الله على نحو مثيري، لأنَّ التورية تترك للقارئ فرصة المشاركة بإنتاج دلالة النص لما فيها من سع وخيال رحب، ومن ذلك قوله في مدح الأشرف إسماعيل بن الأفضل بن العباس صاحب اليمن^(١):

تَنْظِمُ أَفْرَادَ الْمَعَانِي صِفَاتِهِ وَجَمَعَ الْمَعَالِي نَظْمَ تِلْكَ الْفَرَايِدِ
حَمَاسَةً قَبِيصٍ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ وَحَلْمٌ إِبْنُ قَبِيصٍ فِي شَجَاعَةِ خَالِدِ
وَيَرْفَعُ لِلْعَلِيَاءِ قَوَاعِدَ بَيْتِهِ وَمَنْ شَأْنِ إِسْمَاعِيلَ رَفَعَ الْقَوَاعِدِ
لَهُ قَلَمٌ فِي مَدَّةٍ مِنْ مَدَادِهِ غَنَى الدَّهْرَ أَوْ قَمَعَ الْعَدُوَّ الْمَكَايِدِ

لقد أراد ابن حجر أن يمتدح الملك إسماعيل بن الأفضل الذي أسبغ عليه من الصفات والقيم التي تجمع بين المعاني المتفردة وما بين المعالي التي هو أهل لها، وذكر من الصفات الحماسة والسماحة التي اقترنت بأعلام من العرب أصبحوا رموزاً لهذه القيم، وقد كان هذا التعريض على نمط مدائح أبي تمام: (إقدام عمرو في سماحة حاتم...)، وقد امتد هذا النمط الموازن بوصف الممدوح وتفردته أيضا برفع قواعد العلياء، ومما عمق هذا التتابع في ذكر صفات الممدوح مجيء التورية في لفظة (إسماعيل) بقوله: (ومن شأن إسماعيل رفع القواعد) فالتورية المجردة هنا تقترب من الإيهام.

فالقارئ هو من يوجه المعنى بحسب ما يتوصل إليه، فالمعنى المورى به هو ما يخص الملك إسماعيل، وجاء المورى عنه وهو ما يخص النبي إسماعيل - عليه السلام - هذه التورية فتحت فضاء النص على مجال تخيلي واسع يتعد عن التعبير بالدلالات المباشرة ولا سيما أن الشاعر جاء بعدد من التوصيفات المباشرة التي سبقت، لكن مجيء هذه التورية زاد من الإيهام بالنص، مما يستدعي تأملاً أكثر للكشف عن البنية المتوارية في النص التي عمقت بدورها أدبية النص ونقلته من التعبير المباشر إلى مظهر من المظاهر ذات الاتساع الدلالي.

أَرْضَى الْعَفَاةَ عَنِ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا وَفِي رِضَا الْمَعْتَفَى سَخِطَ عَلَى الْمَالِ

(١) ديوان ابن حجر: ١٣٩.



أضحت بعزته الدُّنيا تعزُّ وما زيَّدُ إلاَّ بما غايات آمالي^(١)

هذه الأبيات جزء من قصيدة طويلة في مدح الملك الناصر أحمد بن الأشرف صاحب اليمن فأثنى عليه الشاعر بأنواع المكارم ومما ارتقى بدلالة النص مجيء التورية المرشحة في (تعز) فالمعنى القريب من العزة، والذي اقترن بقوله.

وقد عملت التورية على التعبير بالترميز الذي يخفى على القارئ إلا بعد التأمل والتفكير، وهذا الاتساع عمل على تشكيل صورة للممدوح الذي أضحي بعزته الدنيا وشرقت تعز بمكارمه واضحت غاية الامل، وجاءت هذه التعابير على نحو بنية ذهنية عميقة تعد مظهراً مميزاً من مظاهر الاتساع الدلالي للنص، ولاسيما أنّها تضافرت مع أسلوب الطباق في (رضا، المعتفى، سخط المال) التي تهيّ الذهن للتورية فتكون صورة كلية تبين مقصدية الشاعر في الشفاء على الممدوح وتعداد فضائله من كرم وعزة

لقد أدت بنية التورية هنا دوراً في تماسك الدفقات المعنوية في النص، والتلون في النص أصبح كما هو معروف من المعايير النصية المهمة لانتاج المعاني الإبداعية واثراء أدبية النص^(٢) ومن الأموذجات الشعرية التي تميزت بالأبعاد التخيلية والتي بينية ظاهرها متمائل لكنها تخبي مفارقات أدت الى اتساع دلالي يبنى عن دور الأسلوب البديعي في اثراء هذا الجانب، ومن ذلك قوله^(٣):

قَطَعْتَ رَسْمَ الْوَصْلِ يَا هَاجِرِي فَارْفِقْ بِعَافٍ دَمْعُهُ يَهْمِي
كَانَ عَلَى رَسْمٍ عَافٍ بَاكِياً صَارَ هُوَ الْعَافِي بِلا رَسْمٍ

فالتورية في البيت الأول بقوله (عاف) اذ أنّها القراءة الأولى الى ان مقصدية الشاعر، العاف هو من ترك الديار وهي تحتل المكانة في ذهن الشاعر، لكن يحتمل تعبير بالتورية التي جردت عما يلائم المورى به او المورى عنه، بل كانت التعابير بالإيهام الذي يترك فسمة للقارئ ملء هذه الفجوات الدلالية

(١) ديوان ابن حجر: ١٤٦-١٤٧.

(٢) ينظر، النص الايدي تحليله وبناءه مدخل اجرائي، د. إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية، ط١، عمان، ١٩٩٥م، ١٥٥، ١٥٧.

(٣) الديوان، ٢٥٤، تح، د. فردوس.



فترك تعبير (العاف) يخبر الشاعر به عن السمو والعفة التي يتحلى بها، ففضل التسامي عن كل ما يضعف من عزيمته، وفضل الانشغال بدمعه بدلا من الإفصاح والركون والاستسلام. فيتضح دور أسلوب التورية اثرا أدبية النص من خلال ادامة زخم التصوير الشعري، زد ذلك يتضح لنا الدور الجوهري الذي يمكن أن يأتي من خلال التوظيف السليم للأسلوب البديعي. وكذلك نقرأ له^(١)

خَلِيلِيَّ وَوَيْ الْعُمُرُ مَنَّا وَلَمْ نَثْبُ وَنَوِي فَعَالَ الصَّالِحَاتِ وَلَكِنَّا
فَحَتَّى مَتَى نَبِي بُيُوتًا مَشِيدَةً وَأَعْمَارُنَا مَنَّا تُهْدُ وَمَا ثَبْنَا

إنَّ المقطوعة الشعرية في سياق تأنيب النفس ومحاورتها لحنها على فعل الصالحات، فالانشغال واضح بتشديد البيوت وغيرها من مطامع وإزاء ذلك العمر في تناقص وفرص التوبة والعودة إلى الله تقل أيضا. إنَّ هذه المعاني لقيمة تطلبت صياغة خاصة تبعدها عن التقريبية والتكلف التي تعرقل العمل الإبداعي، فجاءت التورية في وما تبنا إذ إنَّ الكلام الذي قبلها يوجه الذهن نحو البناء وما شابه.

لقد مثلت المقاطيع الشعرية في ديوان ابن حجر العسقلاني مساحة مهمة، وغالبا ما نجدتها تزدهم بتصوير شعري يعود أغلبه للتورية إذ إنَّ هذا التكتيف والزخم الشعري يتطلب بنية عميقة تحمل القارئ على التأمل وإحالة الفكر، وكانت التورية اصدى هذه التقنيات الإبداعية في مواضع كثيرة من هذه المقاطيع منها قوله^(٢):

إني عشقت دنيا لا خلاق له به تشردت عن اهلي وعن وطني
ولم يواصل ولم يسمح بطيف كرى فانظر تجده على الحالين شردي

جاءت التورية هنا في (شردي) في قوله (فانظر تجده على الحالين شردي) فرغم إنَّ الشاعر هنا تحدث بصيغة المتكلم في (إني عشقت) إلا إنَّ المعنى يشمل ذات الاخرين عن صحبة السوء البذين يكونوا سببا بالخسران والضياح، فمجيء (شردي) تحمل معنى الشر الديني وهذا المعنى وان كان مقترنا بكلام قبله يشير إليه (دنيا لا خلاق) إلا إنَّه محتمل وربما يكون هو مقصدية الشاعر، وممكن إنَّ يكون تعبير (شردي) من التشرذ والضياح وهذا كله عمل على رقد النص بطاقة أدبية واسعة

(١) الديوان، ٢٥٦، نح د. فردوس نور علي حسين.

(٢) الديوان، ٢٦١، تح د. فردوس نور علي.



دع يا عدول لي الملام فمند سرى عنى الحبيب فبيت دام له البقا
والطرف مذ فقد الرقاد بكما بما يحكي الغمام فليس يهدا بالرقا
نجد التورية في قوله (بالرقا) فتحتمل معنى، بالرقا وتحتمل معنى، الرقى وهي تورية مجردة إذ لم تقترن بما
يلائم أي من المعنيين القريب أو البعيد وهذا يتناسب مع حجم الضغط النفسي والسام من عدول لائم وما
بين فراق المحبوب، فقد نادر الطرف الرقاد وابكاه كالمطر، ولا يهدا هذا الطرف بالرقا.
وتركت التورية المجال الدلالي مفتوح للتأويل، وهذا أدى لزيادة مسافة تأملية النص ومن ثمَّ المقدرة على نقل
المشاعر إلى الاحساس والملتقي والتأثير به.
ونقرأ لابن حجر أيضًا قوله^(١):

يقول صحي حين أصبحت من طيب الهوى أهتز نشوانا
من الذي تهوى وهل لان أو قسا فؤادا قلْتُ بل لانا
لقد جاءت التورية في "بل لانا، وفي رواية "بلانا" وهي تناسب التورية التي زاد من المساحة الدلالية
للمقطوعة، إذ تتزاحم معان في فضاءات يستكشفها القارئ بعد إجمالة الفكر والتأمل، وهذا بدوره يكشف
القناع عن حالة من الاحباط التي أصابت الذات المتوارية في النص، والتي كانت يائسة من الآخر الذي كان
الشريك الذي يكن له المشاعر، التي تهتز إليه طيبا ونشوة، لكنه وبهذه الأحوال لا يرجو التواصل، بل أنه
صبَّ وعذابات يأس وعدم تقدير لمشاعر المودة الصادقة.
وفي سياق اظهار المودة للمحوبة، على أمل الوصال، نجد له مقطوعة تتخذ من التورية سبيلاً
لتكثيف دلالتها، إذ قال^(٢):

حبيبة قلبي ساعديني فإني أموت ومالي في الهوى من مساعد
وزوري فإن واصلتني ورحمتني يكن لك كفي كالوساد وساعدي
فلا يخفى على المتذوق أن التورية في "ساعدي" والتي حاول أن يضلل القارئ عن دلالتها الأصلية
عبر التقديم لها بما يتناسب مع الساعد الذي هو جزء من الذراع، لكن الطريف الذي حصل هنا، أن الشاعر

(١) الديوان، الموضع السابق.

(٢) الديوان: ٢٦٥.



المح بلطافة، إلى المشاعر تجاه المحبوب، وكأنه ترك الباب على مصراعيه لاحتمالية الدلالات التعبيرية بالنص؛ لتناسبها مع طبيعة ذلك التودد، وهذا كله ينم عن حُسن توظيف الأسلوب البديعي وعدم انحساره في ضمن دائرة التحسين العرضي الزائد، بل كانت التورية هي بنية من العواطف والأخيلة الممتزجة فيما بينها؛ لتشكيل لوحة شعرية قوامها التورية التي رفدت النص بسماوات إيجابية عالية.

إنَّ طبيعة التورية وتناغمها من متطلبات المتلقي أدى إلى وضود دورها بعدها مظهرًا من مظاهر الاتساع الدلالي، إذ إنَّ الداعي لها ربما لا يتحصّل إلا من أصحاب الملكة البلاغية وتذوق التعابير المميزة التي تتكون من بني دلالية جديدة ذات تحول دلالي مستمر بحسب الاحتياج من (إخفاء أو تمويه أو تندر وبحسب اذهان المتلقين)^(١)

الخاتمة والنتائج:

بعد هذا العمل البحثي الذي نحسبه متواضعًا إلا أننا استكشفتنا قيمة مهمة لأسلوب التورية في شعر ابن حجر العسقلاني، ضمن سياق إمكانية توظيف البنية بلاغيًا، وعدّها رافدًا مهمًا لدعم الأسلوب البديعي، وقد أدّى هذا المسار إلى إفراز نتائج أهمها:

- كانت التورية ذات أبعاد دلالية أسهمت في إثراء التصوير البديعي، وتعميق الطابع الرمزي للأعمال الإبداعية فهي تمكّن الشاعر من التعبير عن المغزى الذي يلوّح إليه في النص بطاقة إيجابية تأملية.
- لقد تم توظيف التورية في شعر ابن حجر، وفي مواضع عدة؛ توظيفًا متطافًا مع التعبيرات المجازية؛ لتحقيق أغراضًا تواصلية جمالية لا تتوافر من التعابير التقريرية المباشرة، لما فيها من طرائف المعاني، ورشاقة التعبير، وتحقيق عنصر المفاجأة والإثارة التي هي من العناصر المهمة في المظاهر الدلالية للبنية البديعية.
- تميزت بنية التورية في شعر ابن حجر بأنها أدت دورًا مهمًا في تماسك المعاني الإبداعية في النص، والتوليف في النص الذي أصبح - كما هو معروف - من المعايير النصية المهمة لإنتاج المعاني الإبداعية وإثراء أدبية النص.

(١) ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها، عبد الرحمن حبكة، ج١/١٤٩



- غالباً ما يجد القارئ لشعر ابن حجر مجيء التورية المجردة على نحو أكثر نسبياً بالأنواع الأخرى، وهذا أدى إلى فتح المجال الدلالي للتأويل، وزيادة المسافة التأملية للنص ومن ثمَّ المقدرة على نقل المشاعر إلى الاحساس والمتلقي والتأثير به، ولاسيما أنّ ابن حجر كان يقول الشعر في مواضع التندر والألغاز والتباري في هذا الميدان وإظهار المقدرة اللغوية والشعرية.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

- ١- انغلاق البنية وانفتاحها في النبوية، والتداولية، والبلاغة العربية: الدكتور أسامة محمد إبراهيم البحيري، منشورة في كتاب الندوة الدولية للبلاغة العربية في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية عام ٢٠١١ م
- ٢- البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧٩م.
- ٣- البلاغة العربية أسسها وعلومها وأفانينها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ٤- البنية والنبوية والدراسات الأدبية واللغوية العربية، في البنية اللغوية والاصطلاح النقدي، د. يوسف بوغليس، مجلة الدراسات اللغوية، مخبر الدراسات اللغوية، الجزائر، ط٦، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ٥- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبغ المصري (ت: ٦٥٤ هـ)، تحقيق: د. حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- الجمهورية العربية المتحدة، ط١، ١٩٦٣م.
- ٦- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- ٧- الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) تحقيق؛ أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٩٨٠م.
- ٨- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة- القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٩- دلائل الإعجاز، الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (المتوفى سنة: ٤٧١هـ، أو سنة ٤٧٤هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ١٠- ديوان شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة: د. فردوس نور علي حسين، دار الفضيلة للطباعة والنشر، ط١، (د.ت).
- ١١- رفع الإصر عن قضاة مصر، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق د.علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.



- ١٢- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي- القاهرة، ط/١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- ١٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، الناشر دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ١٤- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ١٥- العُجَاب في بيان الأسباب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق؛ أبو عبد الرحمن فواز زمري، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ١٦- العمدة لابن رشيقي القيرواني (ت ٤٦٣هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ١٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- ١٨- المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: محمد كامل عويضة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/١، ١٩٩٨م
- ١٩- المصباح في المعاني والبيان والبيدع: بدر الدين ابن مالك الشهير بابن الناظم (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب- القاهرة، ط/١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٢٠- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.
- ٢١- معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط).
- ٢٢- مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي (ت: ٦٢٦ هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.